

الماضرة الثانية

جامعة الانبار / كلية التربية للعلوم الانسانية - قسم التاريخ / الدراسات العليا / دراسات في تاريخ المغرب والاندلس / أستاذ المادة : د. عثمان عبدالعزيز صالح

محتويات الماضرة

المرحلة الاستكشافية الاستطلاعية لتحرير المغرب الاسلامي من سنة ٥٢١ هـ وحتى

٥٥٠ هـ

المرحلة الأولى: المرحلة الاستكشافية الاستطلاعية من سنة ٥٢١ هـ وحتى ٥٥٠ هـ:

يمكن أن نسميها مرحلة البعوث والسرايا والحملات الاستطلاعية التي تبدأ بجهود عمرو بن العاص والي مصر على عهد الخليفة عمر بن الخطاب ((رضي الله عنه)) حين توجه عمرو بن العاص بنظره نحو اقليم برقة لتأمين قاعدة الفسطاط وتأمين الوجود العربي الإسلامي في مصر وقرار الإسلام بها ، لأن وجود الروم البيزنطيين في هذا الجزء من أفريقيا كان يهدد الوجود الإسلامي ، وينشط الهدف البيزنطي الرامي إلى استرجاع مصر إلى سيطرتهم عن طريق اقليم برقة وطرابلس ، لأن برقة وطرابلس قد انفصلتا عن ولاية أفريقية البيزنطية ، واصبحتا اقليمين تابعين لمصر منذ عهد الإمبراطور موريس (٥٨٢-٦٠٢م) .

ولذلك ارسل عمرو بن العاص أول حملة استكشافية استطلاعية الى برقة بقيادة ابن خالته القائد عقبة بن نافع الفهري ، فجاءه بأخبار مشجعة عن طبيعة المنطقة ومكوناتها الاجتماعية من خلال قبيلة لواتلذا قاد عمرو بن العاص حملة بنفسه لفتح برقة سنة (٥٢١هـ). ودون الاستئذان من الخليفة عمر بن الخطاب ((رضي الله عنه)) فتمكن من فتحها بعد أن صالح أهلها على جزية يدفعونها مقدارها ثلاثة عشر الف دينار، ومن برقة تجهز عمرو بن العاص لغرض فتح طرابلس ، فتطلب الأمر منه تجهيز قوتين ، قوة تأخذ الطريق الساحلي ، وهدفها مدينة طرابلس وما يليها من المدن ، وعهد بقيادتها الى القائد عقبة بن نافع الفهري . وقوة فرعية هدفها المناطق الصحراوية الجنوبية واحتفظ بقيادتها لنفسه . وكان الهدف من هاتين القوتين هو لتأمين الساحل من الخطر الروماني البيزنطي وتأمين المناطق الداخلية لغرض منع أي محاولة أو أي عمل تقوم به القبائل الصحراوية يعيق من خلاله تقدم القوات الإسلامية .

وهكذا سارت العمليات العسكرية في المناطق الساحلية والمناطق الجنوبية متزامنة مع بعضها. فقد تمكن عمرو بن العاص من فتح مدينة سرت وطرابلس وصبراته. وتمكن عقبة بن نافع من فتح مناطق فزان وزويلة في الجنوب ، يقول البلاذري: "ولي عقبة بن نافع الفهري المغرب فبلغ زويلة وأن من بين زويلة وبرقة

سلم كلهم حسنة طاعتهم قد أدى مسلمهم الصدقة ، وأقر معاهدهم بالجزية وأنه قد وضع على أهل زويلة ومن بينه وبينها ما رأى أنهم يطيقونه" .

وجه عمرو بن العاص قوة نحو الداخل أسند قيادتها إلى نسر بن ابي أرطاة لإخضاع جبل نفوسة، ثم مدينة ودان ، إذ أمن أهلها سنة ٢٣هـ/٦٤٣م. لكن فعاليات عمرو بن العاص العسكرية هذه في هذا الاقليم قد توقفت بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب((رضي الله عنه) الذي لم يشأ أن يجازف بأرواح المسلمين في تلك المجاهل.

وبذلك يكون عمرو بن العاص قد عرف قادة الفتح من بعده بمدى أهمية القرب من الساحل ، ومبلغ خطورة التوغل في الداخل ، والفائدة من وراء كسب ولاء القبائل المغربية أو ضمان حيادها على الأقل لأحكام السيطرة على السواحل.

ونبه إلى حقيقة أن عملية فتح المغرب العربي تتطلب امدادات متواصلة ، وجهود كثيفة ، وقاعدة أمنية تحمي تلك الإمدادات وتؤمن لها احتياجاتها ، وهذا ما لم يتم تأمينه في ذلك الوقت ، إذ لم تكن مصر قد استوثقت أمورها بعد ، فلم يزل الخطر الروماني البيزنطي قائماً ، محاولين استعادة نفوذهم وسيطرتهم عليها. لأجل تلك الأسباب عاد عمرو بن العاص إلى الفسسطاط ليشرف على تنظيم الادارة فيها وتحسينها وتثبيت قوة دعائمها مما يجعلها مركزاً مهماً لقيادة العمليات العسكرية لإتمام فتح المغرب للإسلام ، وعندها كان عمرو بن العاص قد ترك عقبة بن نافع على رأس حامية عسكرية في مدينة برقة.

وقد نجح عقبة في كسب ود كثير من أهالي البلاد من قبائل لواتة ونفوسة ونفزاوة فدخلوا في الإسلام. وأثبت عقبة كفاية عالية في ادارة تلك القاعدة وتقديمه الخدمات للحملات الاستطلاعية التي أخذت تتقاطر على شمال أفريقية من مصر بعد استشهاد الخليفة عمر بن الخطاب((رضي الله عنه)) .

بعد أن تولى عثمان بن عفان((رضي الله عنه)) سدة الخلافة ، عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر وأسندها إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة (٢٤هـ). ، ومنذ ذلك الحين بدأت الأنظار تتجه نت جديد نحو بلاد المغرب العربي ، فكان عبد الله بن سعد يبعث المسلمين في سرايا وبعوث لغرض الاستطلاع وجس مواطن العدو وامكاناته .

وعندما كانت تلك السرايا تأتي بأخبار مشجعة قرر ابن سرح أخذ موافقة الخليفة عثمان بن عفان((رضي الله عنه)) لأستأناف الحملات العسكرية لإتمام الفتح ونشر الإسلام ، فجاءت موافقة الخلافة الإسلامية مع إعداد جيش كبير ، إذ جهزه بألف بغير يحمل عليها ضعاف المسلمين ، وفتح بيوت السلاح التي كانت للمسلمين. وشارك في هذا الجيش مشاهير رجال العرب وأبناء الصحابة والقبائل المحيطة بالمدينة من الحجاز حتى بلغت الحملة العشرين ألف مقاتل. وعرفت هذه الحملة باسم "حملة العبادلة السبعة" .

خرج جيش العبدالة السبعة من مصر سنة (٢٧هـ/٦٤٧م) وعلى قيادته عبد الله بن سعد وهدفه مدينة سببلة التي يتخذها الروم البيزنطيين عاصمة لهم ويحكمها يومنذ جريجوريوس (جرجير) الذي كان قد خلع طاعة الإمبراطور هرقل واستقل بحكم المغرب العربي.

وفي مدينة برقة التي كانت قاعدة أفريقية ومنطلق الحملات نحو المغرب ، حامية يقودها عقبة بن نافع الفهري ، التقت حملة العبدالة بحامية برقة ، إذ واصلت القوات الإسلامية زحفها لاستكشاف المناطق المتقدمة وتأمين خطوط مواصلات الحملة . وفي منطقة قمونية عسكر الجيش العربي الإسلامي ، وعندما بدأت مفاوضات بين القائد عبد الله بن ابي سرح وبين جرجير التي خضعت مناطق الشمال الأفريقي لسيطرته والذي رفض الخضوع لمطالب المسلمين

ودفع الجزية معتداً بقواته التي بلغ تعدادها المائة والعشرين الف مقاتل. وجرت مناوشات بين الطرفين سنة (٢٨هـ/٦٤٨م) في موضع اطلق عليه أسم عقوبة، استمرت المناوشات أياماً تمكن عبد الله بن أبي سرح من اكتشاف نقاط الضعف في قوات جرجير فعدل خطته العسكرية ، إذ قام بهجوم شديد اخترق صفوف قوات جرجير واجبرها على التراجع ، وكان من نتيجة ذلك مقتل القائد جرجير ومعظم قاداته وانهزم من تبقى منهم في اتجاهات مختلفة. وتمكنت قوة من فرسان المسلمين من مطاردة المنهزمين ومنعهم من دخول مدينة سببلة والاعتصام بها ، وبذلك جردت المدينة الحصينة من المدافعين عنها وسقطت بسهولة في معركة ثانية.

لقد ادى سقوط مدينة سببلة بيد المسلمين إلى انهيار الحكم البيزنطي في معظم المناطق التي كانت تحت نفوذ جرجير. وتوالت انتصارات المسلمين في مواقع متعددة مما دفع الروم البيزنطيين الى اللجوء الى الحصون والمعازل، أدى بالنتيجة إلى اذعان رؤسائهم لمطالب المسلمين بدفع مبالغ كبيرة بلغت الثلاثمائة قنطار من الذهب.

استغرقت هذه الحملة تقريباً خمسة عشر شهراً ، انسحب بعدها ابن أبي سرح عائداً إلى القسطنطينية ، إذ يبدو أنه وضع اعتبارات خاصة لعودته الى مصر ، كأن تكون تحركات القوات الرومانية في البحر المتوسط والمدن الحصينة ، والمدة التي قضاها في تلك الحملة والإنهاك الذي اصاب قواته، دفعته الى اعادة التنظيم بعد أن أخذ على الروم العهد والجزية التي أخذت منهم .

ومما يؤخذ على اتفاق ابن أبي سرح هو عدم تنفيذه من قبل الروم وذلك لكون ابن أبي سرح قد غادر المغرب من غير أن يتخذ فيها قاعدة متقدمة للقوات العربية الإسلامية أو يترك حاميات في المناطق والمدن التي فتحت ، أو في تلك التي دخلت في أمانه.

وعلى الرغم من ذلك إلا أن تلك الحملة تعد أهم الحملات ، إذ أذلت الروم وساعدت على دخول أعداد كبيرة من زعماء قبائل البربر الى الإسلام . وآخر الحملات التي قادها عبد الله بن أبي سرح كانت معركة ذات الصواري البحرية ، سنة (٣٤٤هـ/٦٥٤م) ضد اسطول الروم البيزنطيين في مياه البحر المتوسط ، إذ تمكن الأسطول العربي الإسلامي من تدمير الأسطول الروماني البيزنطي بقيادة قسطنطين بن هرقل ، ما بين ساحل طرابلس وتونس.

وبسبب أحداث الفتنة الكبرى التي أودت بحياة الخليفة عثمان بن عفان ((رضي الله عنه)) ضعفت همم الرجال في مواصلة عمليات فتح المغرب العربي حتى خلافة معاوية بن أبي سفيان سنة (٤١هـ/٦٤١م) . هذا وقد اعاد معاوية بن أبي سفيان القائد عمرو بن العاص إلى ولاية الفسطاط واستمر والياً عليها حتى وفاته سنة (٤٣هـ/٦٦٣م) ، لكن لم يسجل أي نشاط خلال الولاية الثانية ، وربما يعود لكبر سنه وعدم مقدرته على قيادة الحملات والجيوش ومواصلة العمليات العسكرية .

وبعد وفاة عمرو بن العاص ، فصلت أفريقية عن الفسطاط بعد أن كانت ملحقة بها أدارياً ، وأصبحت أفريقية مرتبطة بمركز الخلافة في دمشق مباشرة ، إذ تولى أمرها معاوية بن حديج الكندي . خرج معاوية بن حديج الكندي سنة (٤٥هـ/٦٦٥م) ، على رأس جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل، إضافة الى القوة التي كانت في برقة، وقد سلك الطريق الساحلي مروراً بمدينة طرابلس وانتهى الى الموضع الذي نزله عبد الله بن أبي سرح سنة (٢٨هـ) في منطقة قمونيقوفي هذا المكان دارت معركة بين الجيش العربي الإسلامي والقوات الرومانية البيزنطية بقيادة نقفور التي عدتها ثلاثين ألف مقاتل وأسفرت عن هزيمتهم واعتصامهم بمدينة سوسة.

وبعد هذا الانتصار تقدم معاوية بن حديج الكندي شمالاً فعسكر في موضع مرتفع يقال له القرن . ومن معسكر القرن بدأ معاوية بن حديج نشاطه بتجهيز الحملات ضد الروم البيزنطيين وكانت بالآتي :-
الأولى: وهدفها مدينة سوسة إذ اعتصمت القوات البيزنطية بقيادة نقفور ، وكان يقودها عبد الله بن الزبير .
الثانية: سرية بقيادة عبد الملك بن مروان لفتح مصر جلولاء .

الثالثة: حملة قادها عقبة بن نافع الفهري للتوغل جنوباً في المناطق الصحراوية .
واقتمت قوات رويغ بن ثابت جزيرة جربة ، وأغارت قوات عبد الله بن قيس الفزاري على جزيرة صقلية فنال من سرقوسة كبرى مدن الجزيرة ورجع سالماً .

وكلل معاوية بن حديج الكندي جهوده العسكرية ببعض الخدمات العمرانية التي عززت من استقراره العسكري هناك ، إذ عُرف عنه أنه كان أول من اتخذ قاعدة عسكرية ثابتة لقواته في اقليم قمونية الذي اطلق عليه أسم القيروان، وحفر بجواره آباراً يشرب منها الجند وسميت آبار حديج.

ويكون ابن حديج بذلك أول قائد عربي إسلامي في أفريقية اختار قيرواناً ينزل فيه الجند وحريمهم وذرائعهم واثقالهم ، ويضربون فيه خيامهم ، ويجتمعون فيه كلما انتهت الحرب للإصلاح شؤونهم واستجماع قواهم وتضميد جراحهم وتجديد اسلحتهم أ ينزلون فيه ريثما يرجعون الى الشرق .
ويحق القول أن استراتيجية ابن حديج الكندي الجديدة تعد ارهاصاً حقيقياً لما تم فعلاً في عصر عقبة بن نافع الفهري .

ويذكر أن سكان المغرب من البربر قد خلدوا الى الراحة والهدوء والانقياد وطواعيتهم للسلطة على عهد ابن حديج ، حتى عصر الخليفة هشام بن عبد الملك ، يقول ابن الأثير : "فسكن الناس وأطاعوا وعادوا الى مصر ثم لم يزل أهل أفريقية من اطوع أهل البلدان وأسمعهم الى زمان هشام" .

هذا ولم يتح لمعاوية بن حديج أن يتم فتح أفريقية ، إذ عزله معاوية بن أبي سفيان سنة (٦٤٨هـ/٦٦٩م) وقيل (٥٥٠هـ/٦٧٠م) ، وولى على أفريقية عقبة بن نافع الفهري . وبتولية عقبة على أفريقية يبدأ طور الفتح المنظم للمغرب العربي .